تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 3- سورة الملك | من الأية 61 إلى 91

عبدالرحمن العجلان

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم امنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تموت ان يرسل عليكم حاصبا - 00:00:00

وستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبض ما يمسكهن الا الرحمن هذه الايات الكريمة من سورة الملك سورة تبارك - 00:00:37

جاءت بعد قوله جل وعلا واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها - 00:01:19

امشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور امنتم من في السماء عيا. ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور تخويف من الله جل وعلا للكفار وانذار لهم وتوعد ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم - 00:01:44

وسيحل بهم عقابه الارض التي ثبتها الله جل وعلا لهم في قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور. قال امنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض - 00:02:23

هو قادر الذي جعل لكم الارض ذلولا قادر على ان يخسفها بكم كما خسفها بغيركم بمن قبلكم قصفها بقارون الذي كان يتبجح ويتكبر بملكه وبما اعطاه الله جل وعلا لما دعا عليه موسى - 00:02:58

على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام خسف الله به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة هو حي موجود في الارظ يتجلجل ينزل فيها الى يوم القيامة كما قال عليه الصلاة والسلام - 00:03:25

اامنتم من في السماء الهمزة الاستفهام الانكار اي ما يليق بكم ان تأمنوا مكر الله اامنتم من في السماء السماء يطلق على الاجرام السماوات السبع وتطلق السما على جهة العلو - 00:03:46

بعض المؤولة يقولون في السماء ملكه سلطانه عرشه امره نهيه وامر الله جل وعلا وسلطانه في السماء والارض قال امنتم من في السماء وتطلق السما على العلو انزل من السماء ماء - 00:04:21

والسحاب لا يصل الى حد السماوات الاجرام. وانما هو سحاب دون السماء الدنيا وانما هو في العلو امنتم من في السماء في يصح ان تكون بمعنى على وهي تأتي كثيرا - 00:04:58

امنتم من على السماء والله جل وعلا عالم على السماء وليس المراد انه فيها وان السماء ظرف له تبارك وتعالى له لانه جل وعلا لا يحيط به شيء من خلقه - 00:05:20

وانما هو فوق العرش والعرش هو سقف المخلوقات وليس فوق العرش مخلوق وانما الذي فوق العرش هو الله جل وعلا وحده وهذا معنى قول بعض العلماء رحمهم الله مستوى على العرش - 00:05:45

كائن من خلقه يعني ليس داخلا في الخلق تعالى وتقدس وليس حالا في السماء تعالى وتقدس وانما هو فوق وانكار الجهة ظلال الله جل وعلا في جهة العلو بلا شك ولا ريب. وهو الذي اخبر عن نفسه جل وعلا - 00:06:09

فهو في جهة العلو ولا يقال كما يقول الحلولية ان الله حال في كل مكان تعالى وتقدس وما يقال منزه عن الجهة لان الله جل وعلا

اثبت الجهة التي له جهة السمع - 00:06:37
وفطر الله الخلق على ذلك والداعي اذا حزبه الامر الشديد يرفع طرفه الى السماء حتى الحيوانات كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله قال ان البهيمة اذا حزبها الطلق الشديد وتعسرت عليها الولادة - 00:06:56
ترفع طرفها رأسها الى السماء فهي اعلم بالله من الجهم ابن صفوان واتباعه امنتم من في السماء امنتم من في العلو من على السماء والله جل وعلا على السمع والعرش هو سقف المخلوقات. والله جل وعلا قال الرحمن على العرش استوى. في سبعة مواضع من كتابه ليس في موضع ولا - 00:07:21
ولا ثلاثة بل في سبعة الرحمن على العرش استوى وهو مستو على العرش والعرش سقف المخلوقات وليس فوق العرش مخلوق ما فوق العرش الا الله تبارك وتعالى اامنتم من في السماء - 00:07:54
ان يخسف بكم الارض اتأمنون مكر الله وقد عصيتم رسوله ان يجعل هذه الارض المستوية الرحبة المتينة القوية يخسفها هذه الثابتة بالجبال الراسيات يجعلها جل وعلا تمور تتقلب تحرك امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن - 00:08:17
فيكون وهو اذا اراد جل وعلا شيء ما يحتاج الى تحضير مواد واشياء وانما يقول للشيء كن فيقول كما اراد سبحانه وتعالى المخلوق اذا اراد شيئا ما لابد من احضار المواد الخام - 00:08:52
العمارة الاسمنت والحديد والخشب وغير ذلك من المواد لابد من احضاره كل ما يمكن ان يقيم عمارة وهكذا اي عين يريد ايجادها لابد ان يوجد موادها الخام واما الله جل وعلا فهو اذا اراد شيئا قال له كن فيكون - 00:09:17
اذا اراد خسف الارض باهلها امرها بذلك فانخسفت اذا اراد الله جل وعلا الاغراقهم بماء من السماء او بماء من الارض امر جل وعلا فكان كما كان كما اراد اامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض - 00:09:40
امنتم خسفة هو قادر على ذلك هذا تخويف اذا كذبتم رسوله عاقبكم بما شاء وذكر جل وعلا الخسف بمناسبة ذكر الارظ قبل هذا امتنان بالارظ وتخويف بالارظ واحد والذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها. هذا امتنان - 00:10:05
وتفضل وعطاء جعل لكم الارض بهذا الشكل الذي تسيرون عليه باطمئنان هو قادر على ان يجعل هذه الارض التي تسيرون عليها باطمئنان قادر على ان يجعلها تمور بكم تنخسف فتمور بكم - 00:10:38
امنتم من في السماء في العلو بذاته وهو الله تبارك وتعالى واما عزه وسلطانه وامره ونهيه فهو جل وعلا يأمر في كل مكان وكل الاماكن تحت قبظته وتصرفه سبحانه وتعالى - 00:11:02
بعض العلماء قال ذكر السمع مثلا مع ان الامر في كل مكان الذين اولوا قالوا الامر في كل مكان لكن ذكر السماء لان التصرف في السماء ادق من التصرف في الارض يعني يستدعي الانتباه اكثر ان الله جل وعلا - 00:11:27
يأمر في السماء بما شاء وهو كذلك سبحانه وتعالى يأمر بالسماء بما شاء ويأمر بالارض بما شاء فهو المتحكم في الخلق لكن المراد هنا والله الله اعلم امنتم من في السماء في العلو بذاته تبارك وتعالى. كما قال عن نفسه الرحمن - 00:11:51
على العرش استوى اامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض يعني ما ينبغي لكم ان تأمنوا لا يؤمن مكر الله المؤمن يكون بين الخوف والرجاء لا ييأس من رحمة الله - 00:12:15
ولا يأمن مكر الله والانصياع الى واحدة منهما يعني اليأس من رحمة الله يكون الانسان عنده الخوف الشديد من عذاب الله ويأس من رحمة الله هذا ظلال او يكون عنده - 00:12:40
امن من مكر الله امن من مكر الله واطمئنان الى رحمة الله فقط ولا يبالي هذا ظلام الامن من مكر الله ضلال كما ان اليأس من رحمة الله ضلال ويكون العبد بين الخوف - 00:13:02
والرجاء يا رجو رحمة الله ويخاف عقاب الله بذنوبه واذا قال العلماء رحمهم الله ينبغي ان يكون الخوف والرجاء عند العبد كجناحي الطاير ما يغلب احدهما لانه اذا غلب الخوف - 00:13:26
اصابه القنوط واذا غلب الرجا اصابه الامن من مكر الله يقع في هذا او يقع في هذا. والمؤمن بين الخوف والرجاء الا انه قالوا ينبغي

في حال الصحة والقدرة على العمل يغلب جانب الخوف شيئا حتى يعمل - 00:13:50
ويجتهد وفي حال المرض يغلب جانب الرجا حتى لا ييأس لانه ما يستطيع ان يعمل اامنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور كلمة تمور تتحرك وتفور وتتقلب - 00:14:14
ام امنتم من في السماء ايرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ام امنتم من في السماء ام هنا يسميها العلماء ام ام المنقطعة المفسرة بالهمزة ام امنتم من في السماء - 00:14:36
كرر هذا لاثبات صفة العلو له تبارك وتعالى ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ان يرسل عليكم حاصبا حصبا يرسلها عليكم رياح شديدة معها حصبا او ظلمة شديدة مع حصبا - 00:15:04
او رياح شديدة تثير الارض وترفع الحصب الى فوق فينزلها الله جل وعلا عليهم فهو قادر على ان يبعث الحصبة من الارض عليهم وقادر ان ينزل الحصب من السماء من فوق عليهم - 00:15:35
ام امنتم من في السماء يرسل عليكم حاصبا فيها حصباء اي حصى صغيرة تهلكهم فستعلمون كيف نذير اذا حصل هذا علمتم كيف نذارة الله جل وعلا لخلقه يعني اذا عاينتم الشيء - 00:15:56
علمتم به وهذا العلم ما ينفع لان العلم الذي ينفع الذي قبل معاينة العذاب اما عند معاينة العذاب فلا ينفع العلم ولا ينفع الايمان لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا - 00:16:24
فرعون اللعين لما عاين لما رأى العذاب والغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل هل ينفعه؟ ما ينفعه قيل له الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين - 00:16:51
الان تؤمن ما ينفعك لان الايمان قبل رؤية العذاب ينفع والله جل وعلا يقبل توبة العبد ما لم يغرغر فاذا عاين الملائكة ملائكة العذاب اراد ان يؤمن ما ينفعه ام امنتم - 00:17:13
بمعنى قلنا بل والهمزة بل امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا تعلمون اين ترون ذلك حين يرسله عليكم يعلمون حقا النذارة ولكن هذا العلم كما اتقدم ما ينفع لانه عند رؤية العذاب - 00:17:39
ما ينفع الرجوع ولا الندم ولا التوبة نعم اقرأ هذا من لطف الله ورحمته بخلقه انه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل - 00:18:08
ولا يعجل كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى جل وعلا يمهل ولا يهمل الامهال تكرم منه جل وعلا - 00:18:34
والاهمال حاشاه عنه تبارك وتعالى وهو يمهل ويملي فاذا اخذ اخ هذا اخذ عزيز مقتدر سبحانه وتعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا - 00:19:00
وقال ها هنا امنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمر اي تذهب وتجيء وتضطرب امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي ريحا فيها حصباء تدمغكم كما قال الله تعالى - 00:19:31
افأمنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا وهكذا توعدهم الله ها هنا بقوله فستعلمون كيف نذير اي كيف يكون انذاري وعاقبة من تخلف عنه وكذب به - 00:19:59
والاضراب هنا في قوله تعالى اما منتم تنويع في التخويف خوفهم جل وعلا من ان يخسف بهم الارض. يأتيهم العذاب من تحتهم ثم اظرب عن هذا وخوفهم جل وعلا تخويفا اخر بان يأتيهم العذاب من فوق - 00:20:26
وهو قادر جل وعلا على ان يرسل لهم العذاب من اسفل كما انه قادر تبارك وتعالى من ان يرسل عليهم العذاب من اعلى وهم في قبضته سبحانه وتعالى وقوله جل وعلا ولقد كذب الذين من قبلهم - 00:20:52
هذه سنة الله جل وعلا في خلقه ان التكذيب كثير في الامم والهداية قليلة لان الله جل وعلا حكم واراد وشاء ان لا يؤمن اهل الارض ولو اراد ذلك ارادة شرعية - 00:21:18

لا امنوا كلهم اجمعون او ارادة كونية قدرية بان يؤمن الجميع لامنوا لكنه جل وعلا ما اراد ذلك وغالبا الاكثر على الظلام والهداية بالقليل من الناس وكما اخبر الله جل وعلا عن ابليس اللعين انه قال فبعزتك - 00:21:46

لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقال ها هنا جل وعلا ولقد كذب الذين من قبلهم اي من قبل كفار مكة كذبت امم كثيرة قبل الكفار مكة ليسوا هم اول المكذبين - 00:22:15

وقد كذب قوم نوح وكذب وكذبت عاد وكذب الثمود وكذب قوم لوط وقوم ابراهيم واصحاب الايكة واصحاب الرس وقوم فرعون غالب من اهل الارض التكذيب. كما قال الله جل وعلا وان تطع اكثر من في الارض - 00:22:36

يظلوك عن سبيل الله وقال تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ولقد كذب الذين من قبلهم وما تركهم الله بل عاقبهم وقومك يا محمد بلغهم ما عوقبت به الامم السابقة. يدرون عن هذا - 00:23:05

ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير كيف كان انكاري عليهم؟ انتم تدرون عن هذا كان بالغا كانت العقوبة شديدة كلمة لا ترعون كلمة لا تؤمنون برسولي الا تخافون عذابي ان يقع بكم كما وقع بالامم قبلكم - 00:23:29

ولقد كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة السابقة والقرون الخالية فكيف كان نكير اي كيف كان انكاري عليهم ومعاقبتي لهم كان عظيما شديدا عليما ثم قال تعالى او لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن - 00:24:01

ولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن في هذه الاية الكريمة استدلال على كمال قدرة الله جل وعلا في شيء يرونه بابصارهم يرونه فما يسعهم انكاره - 00:24:33

اولم يروا الهمزة للاستفهام والواو حرف عطف على مقدر محلوف ولم يروا او اغفلوا ولم يروا الى الطير فوقهم صافات الاستفهام للانكار والواو عاطفة على مقدر يقتضيه السياق عام او غفلوا - 00:25:01

او تناسوا ولم يروا الى الطير هذا الطير الطير اسم جنسي يصح ان يطلق على الواحد وعلى الجمع وقيل اطلاقه على الجمع اكثر ولا يطلق على الواحد الا قليل وانما يقال عن الواحد طائر - 00:25:38

اولم يروا الى الطير فوقهم في السماء يرونها فوق عليهم صافات ويقبضنا صافات اجنحتها مرسلات اجنحتها ويقبضن اجنحتهن الى جيوب الى جنوبهن احيانا صافة واحيانا قابضة واحيانا صافة قابضة بسرعة بآن واحد - 00:26:01

من يمسكها بين السماء والارض قدرة الله جل وعلا من يمسك السماء الا تقع على الارض يعني السماء فوق الارض مثل الطائر التي فوق الارض لكن الطائر شيء يشاهدونه باعينهم - 00:26:41

والسماوات فوق الارظ كذلك بقدرة الله الملائكة فوق السماوات وداخل السماوات تسبح بين السماء والارض وبين السماوات بامر الله وقدرته تبارك وتعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات؟ مرسلات الاجنحة - 00:27:00

ويقبضن قابضات لاجنحتهن بين السماء والارض وهذا من كمال قدرته سبحانه وتعالى قال الصافات ويقدرنا في علم ولم يقل قابضات صافات وقابضات قالوا الفعل يدل على التجدد والحدوث. اصل انها تفل اجنحتها - 00:27:27

الاصل انها مرسلة لاجنحتها وتقبض اجنحته احيانا فهو شيء متجدد صافات ويقبضن ما يمسكهن في حال الصف وفي حال القبض الا الله الا الرحمن واتى بهذا الاسم الكريم لانهم انكروه - 00:28:01

قالوا ما عرفنا الا رحمن اليمامة قالوا محمد يدعونا ويأمرنا الى ان نعبد اله واحد وهو يعبد اثنين. يعبد الله ويعبد الرحمن قال الله جل وعلا قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا - 00:28:28

فله الاسماء الحسنى هذه اسماء لله تبارك وتعالى ولا يحصي اسماء الله جل وعلا الا هو ما يمسكهن الا الرحمن ما يمسكهن من السقوط والوقوع على الارض الا الله جل وعلا - 00:28:49

والاصل طبيعة الجثة شيء الجامد انه ينزل الى اسفل ما يرتفع ينزل ولا يستمسك في وسط الجو الا بقدرة الله جل وعلا ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير - 00:29:13

لكل شيء من مخلوقاته تعالى بصير يعطيه ما يناسبه سبحانه وتعالى والله جل وعلا اعطى الطائر هذه القدرة عن بصيرة منه سبحانه

وتعالى واعطى كل شيء خلقه ثم هدى وفق والهم وارشد - 00:29:40
هيأ من شاء من عباده لطاعته فجعلهم في ذلك وحببها اليهم وهيأ من شاء سبحانه لمعصيته استشاؤوها واستحسنوها ولم يريدوا عنها بديلا وهي توصلهم الى النار ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء - 00:30:11
كل شيء كل من الفاظ العموم مصير بصير به سبحانه وتعالى يعلم حاله ويعلم ما في نفسه ويعلم ما يناسبه ويعلم ما لا يناسبه تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن - 00:30:42
اي تارة يصف يصففن اجنحتهن في الهواء وتارة تجتمع جناحا تجمعوا جناحا وتنشروا جناحا ما يمسكهن اي في الجو الا الرحمن اي بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه - 00:31:07
انه بكل شيء بصير اي بما يصلح كل شيئين بما يصلح كل شيء من مخلوقاته وهذا كقوله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله - 00:31:33
ان في ذلك لاية لقوم يؤمنون والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:31:55